

السمندل

الدكتور سليمان العليمات

حقوق الملكية (2021).

جميع الحقوق محفوظة, لا يجوز نشر أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب, أو اختزان مادته بطريقة الإسترجاع, أو نقله عن أي طريق, سواء كانت الكترونية, أم ميكانيكية, أم بالتصوير, أم بالتسجيل, أم بخلاف ذلك دون الحصول على إذن المؤلف الخطي, وبخلاف ذلك يتعرض الفاعل للملاحقة القانونية بمقتضى قانون رقم (22) لسنة 1992 (قانون حماية حق المؤلف), والقانون المعدل رقم (8) لسنة 2005) قانون معدل لقانون حماية حق المؤلف).

الأهداء

استوى الدكتور رؤوف على مقعد مكتبه, وبدأ يحرك المقعد الى الامام والخلف وراح ينفث دخان سيجارته من فمه بقوة لتكون سحابة بيضاء صغيرة سرعان ما تتلاشى , وهو يفكر فيما قرأه عن الاستنساخ في النقاش العلمي الصاخب الذي دار في ندوة البارحة التي شاهدها على التلفاز عن امكانية استنساخ كائن بشري من الخلايا الجسدية. هل الامر ممكن؟ وهل بالإمكان إنتاج كائن حي بشري؟ لا... لا... لا يمكن خلق كائن حي فمثل هذه المسائل منوطة برب العالمين. وبينما هو في حالة الشرود, والتفكير بهذا الامر سمع صوت طرق خفيف على الباب, فقال: ادخل, فلم يدخل احد, ثم سمع طرق الباب مرة اخرى ونهض من مقعده متوجها نحو الباب ليرى من الطارق , وفتح الباب نصف فتحة, ولم ير أحدا, وعاد إلى مقعده ليرتشف رشفة من فنجان قهوته الباردة, وينفث دخان سيجارته الى الاعلى. سمع صوتا يقول له إن رائحة دخانك تضايقتني. التفت حوله ولم ير احدا, وقال بصوت خافت يخاطب نفسه: هل أنا في حلم أو ماذا؟ فاجابه الصوت الخافت: لا أنت لست في حلم, أنا إبليس جئت أعرض عليك مشروعا ضخما ستقوم له الدنيا ولا تقعد.

- بسم الله وأعوذ بالله منك يا إبليس, قالها الدكتور رؤوف والدهشة تسيطر عليه

- لقد تعودت على هذه العبارات, وأنا جاد بالتعاون معك, لقد كنت في حيرة من أمرك أيها العالم رؤوف وكنت دوما تسأل نفسك إن كان بالإمكان استنساخ كائن بشري ام لا؟! أتيت لأنقذك من

حيرتك وأعرض عليك أن نتعاون معاً لإنتاج كائن بشريّ، وأنت وحدك لا تستطيع لأنك لا تملك الوسائل اللازمة لإنجاح مثل هذا المشروع الضخم.

- وأين أنتم من معرفتكم بأمور العلم هذه؟

- إننا أمة مثلكم يوجد لدينا المدارس والمعاهد والجامعات ومراكز البحوث التي تحتوي على أحدث الأجهزة والإمكانات، وللأسف لا يوجد تواصل بين عالمنا وعالمكم، وأنا أريد أن أقصّ الهوة بيننا.

- أنا لا أصدق ذلك، كل ما تقوله لا يتعدى ضرباً من الخرافات والوسواس يا إبليس.

- اعرف بأنك رجل متدين، وكل ما قلته لك ورد في القرآن الكريم في قول رب العزة (ولأمرنهم فليغيرن خلق الله) (النساء، 119)، فكر فيما قلته لك، وفكر في الآية الكريمة، وعندما تقرر سأكون هنا إلى جانبك.

- تباً لك يا إبليس من أين تعرف هذه الآية الكريمة؟

- إنني مثلك من خلق الله، خلقنا من مارج من نار، وخلقكم من أديم الأرض.

- كل ما أعرفه عن مخلوقات الله الملائكة وهم عقل بلا شهوة، والحيوانات شهوة بلا عقل. ونحن البشر عقل وشهوة، ولا أعرف عنك وعن أمّتك، يا إبليس، إلا الكيد والوسواس، ولم اهتمّ بأن أعرف عنك، أو عن أمّتك أي شيء.

- أوافقك الرأي فيما قلته، وأنا أتحدث إليك عن أجمل عمل علمي مشترك بيننا، وما سنقوم به لا يتعارض مع الدين في شيء أبداً، وأكرر ما قلته لك سابقاً: الهدف هو إنتاج كائن حيّ وليس خلقه،

وأمامي أعمال كثيرة لأنجزها, سأرسل لك البروفيسور جبير وهو متخصص بهذا المجال, وطبيعة أبحاثه تشبه أبحاثك, سيكون شريكاً لك في العمل, وهو كذلك رئيس فريق العمل عندنا, وخبرته في هذا المجال تقارب مئات السنين, تقارب أربعمئة عام. غدا صباحاً سيكون هنا لتناقش معه التفاصيل الدقيقة للمشروع. وفي صبيحة اليوم التالي سمع الدكتور رؤوف صوت صفير قادم من ناحية باب مكتبه. أخذ الصفير يرتفع شيئاً فشيئاً حتى اقترب من باب مكتبه.

- صباح الخير يا دكتور, لا تقلق, أنا البروفيسور جبير. ومن عادتي ان أطلق الألقاب المرححة لأعلن للناس وصولي.
- وماذا جاء بك إلى هنا؟
- لقد أخبرني إبليس عن المحادثة التي تمت بينكما بالأمس وطلب مني أن آتي إليك, لوضع ترتيبات عملنا على مشروع إنتاج كائن حي بشري.
- حتى الآن لم أقرر قبول العرض.
- إنه مشروع باهر, وأنا واثق من أن النتيجة ستكون إيجابية. سيدخل اسمك التاريخ, ويتحدث عنك وعن إنجازاتك العلماء لأجيال وأجيال قادمة. أنا وفريقي لا يهمننا الأمر كثيراً, لأن كل ما نقوم به غير مرئي بالنسبة لكم, فنجاحنا أو فشلنا يبقى ضمن فضائيات عالمانا, وأريد أن أريكم مدى التقدم الذي وصلنا

- والتقنيات المتبعة في مجال هذا النوع من
البحوث, وستكون الفائدة لك أكثر من الخسارة.
- بروفيسور جبير, أنا لا أعلم شيئاً عن أبحاثكم,
ولا أريد أن أعرف. إن إمكاناتي المتاحة,
وعقائدي, لا تسمح لي حتى بالتفكير في مثل
هذا المشروع الكبير, أرجوك دعني وشأني.
 - يمكنك أن تتأديني جبير.
 - يا جبير أنا متعب الآن وأريد أن أذهب لأنام,
سأخبرك بالرد لاحقاً, ويمكنك أن تتأديني
رؤؤفا.

عاد الدكتور رؤؤف إلى منزله, وجلس يشعل
سجائره الواحدة تلو الأخرى, حتى تكوّن أمامه تل
صغير من الأعباب المغموسة في الرماد. واستذكر
النقاش الذي حصل في الندوة التي حضرها
بالأمس, وأراء العلماء وأصحاب الخبرة, ورأي
أهل الدين بهذا الشأن, فقد حرّم رجال الدين
الاستنساخ, ولكنهم أجازوه لزرع أعضاء لمريض
بحاجة اليها. وكيف لي أن أزرع جزءاً من جسم
انسان؟ هل أزرع فقط كيدا؟! أو قلباً! أو يداً! أو
رئة! أو..... هل سننشئ معملاً متخصصاً لإنتاج
أعضاء بشريه حسب الطلب؟ ويكون لدينا قوالب
لها حسب الأحجام والأعمار؟ ولها مواصفات
ومقاييس, وربما تصنّف إلى عدة أصناف, فالذي
يملك المال يحصل على النخب الأول, كما هي
العادة؟ ومن لا يملك المال يحصل على مستوى أقل
جودة أو ربما يكون معطوباً! وكيف يكون هذا

ممكنا؟ أم ننتسخ كائنا حيا كاملا ويتم تعليقه في
واجبات المعارض لتلبية حاجة الزبائن ليشتروا
أي جزء منه كل حسب حاجته.
والعلماء لهم رأي بهذا الشأن، فمن الممكن إنتاج
كائن حي، كما حصل وتم إنتاج الخراف. هل
نستسخ عشرات الأشخاص بقالب واحد؟ هل
سيكون لهم المشاعر والأحاسيس والأحلام
والطموحات نفسها؟ هل إذا جاع أحدهم يجوع
الجميع؟ وهل سينامون ويستيقظون في وقت
واحد؟! وإذا مرض أحدهم هل سيمرض الباقون؟
تساؤلات واستفسارات كثيرة لا حصر لها تعصف
داخل رأس الدكتور رؤوف، ولا يستطيع لجمها،
ولا تستطيع الانفلات من مجتمه.
وعاد الدكتور إلى سجنائه يشعل الواحدة من
الأخرى، ويزم شفتيه، وينفث الدخان منها على
شكل دوائر بيضاء، سرعان ما تتكسر وتتلاشى في
الفضاء.

بدأت أفكار الصراع العلمي والديني، وكلام جبير،
تدب في راس الدكتور رؤوف، تذهب وتجيء لعدة
أيام، وسببت له أرقاً وفقداناً للشهية، وأحياناً يشعر
بان هناك ورماً برأسه بحجم حبة التين ويتمنى
إزالتها حتى تخرج كل هذه الأفكار من رأسه
ويعود إلى حياته الطبيعية.

إن خبرتي في هذا المجال لا تتعدى اثني عشر
عاماً، وهذا الذي يدعى جبيراً له خبرة امتدت إلى
أربعمئة عام؟! ما هو عالم البحث عندهم؟ وما
هي التقنيات التي يستخدمونها؟ لا توجد عندي
أدنى فكرة عن هذه الأمور، ومعملي هنا ليس

مجهزاً بالمعدات التي تستطيع تبني مثل هذا المشروع الضخم. في حالة النجاح سأغير خريطة الدرب العلمي في الجينات, وفي حالة الفشل سأبقى مكاني. أذكر عندما كنت طالبا في المدرسة وألقيت كلمة في يوم المعلم, وقلت فيها إن العالم وصل المريخ, ونحن ما زلنا عند قشور البطيخ, وهذه حقيقة, وفي المحصلة النهائية لا توجد خسارة! وفي غمرة صراع الدكتور رؤوف مع نفسه سمع صفيراً خفيفاً فعرف بأن جبير قادم.

- جئت إليك يا دكتور لأسمع جواباً.
- إنني في حيرة من أمري ولم أستطع أن أتخذ قراراً بعد.
- لقد اخترناك أنت للعمل معنا, ولسنا عاجزين عن العمل مع غيرك. لا بد من أنك علمت بأن الراؤوليين يعملون على استنساخ إنسان, وقد سمعتهم أنا نفسي يقولون بأنهم على استعداد للتحالف حتى مع إبليس لإنجاح مشروعهم. تم اختيارك أنت لأنك من أرض الأنبياء, وفي حالة نجاحنا سيكون لهذا النجاح معنى ومغزى عظيمان, سأكون عندك الساعة العاشرة صباح الغد, وأنا متفائل بأن ردك سيكون ايجابياً.
- سنكون فريقاً واحداً يا جبير وأنا رئيس الفريق.
- موافق على اقتراحك.

-2-

وفي اليوم التالي اجتمعوا لوضع خطة تنفيذية للعمل، وأبدى الدكتور رؤوف وجهة نظره بوجوب توضيح ما يراد القيام به من الألف إلى الياء، والأخذ بعين الاعتبار المشاكل الممكن حدوثها، والحالات الطارئة المحتمل نشؤها من خلال سير العمل. وقال بجديّة: لا أريد أيّ مفاجآت غير سارة أثناء العمل. وأجاب جبير أن كل ما تطلبه يادكتور سوف ينفذ، كن مطمئنا وكل ما أريده منك أن تكون أعصابك في حالة استرخاء كامل.

- أعصابي ليست متوترة يا جبير، ويجب الأخذ بعين الاعتبار ما يمكن أن يطرأ أثناء التنفيذ.
- إن مخطط المشروع واضح لدينا، ولا أريد أن نكتبه خوفا من تسريبه إلى جهات منافسة لنا فينفذون الفكرة، ويقضى علينا وعلى أحلامنا وآمالنا إلى الأبد.
- أتفق معك في أن يبقى الأمر طي الكتمان يا جبير، نحن في عالم يخلو من الاخلاقيات العلمية والالتزام بأدبيات البحث العلمي، وعلى أي حال دعنا نحدد الخطوط العريضة لمشروعنا ونتحدث عنها.
- سنقوم بأخذ خلية من رحم أي أنثى وننزع نواتها، ونأخذ بويضة من مبيض أنثى أخرى، وننزع نواتها أيضا، ونغرس في هذه البويضة المنزوعة النواة المأخوذة من خلية رحم الأنثى الأولى، وبعد ذلك ننقل هذه البويضة المخصبة إلى رحم أنثى ثالثة، لتكون الحاضنة حتى الولادة.
- كلام جميل جدا يا جبير، وهذا ما كنت أتطلع لإنجازه.

- اتفقنا على خطة العمل يا دكتور رؤوف, ويجب أن نبدأ من هذه اللحظة العمل لتنفيذ الخطوة الأولى.
- كنت البارحة يا جبير في إحدى مستشفيات الأطفال, وتم إدخال إحدى الفتيات, وعمرها تسع سنوات, إلى غرفة العناية الحثيثة نتيجة إصابتها بحادث سير, ومن المحتمل أن تتوفى بعد يومين كما أخبرني زميلي طبيب الأطفال المسؤول. ربما أستطيع أن آخذ خزعة من الرحم, وبعدها آخذ حاجتي من الخلايا, مع أنني لا أحتاج إلا لخلية واحدة, وزميلي هذا يعرف جيداً طبيعة أبحاثي ولن يمانع في ذلك.

في المساء سأقوم بتعقيم جميع الأجهزة التي احتاجها, وغداً في الصباح سأنتقل إلى المستشفى.
- أريد أن الفت انتباهك, يا رؤوف, إلى أننا فريق واحد, وارجوك أن لا تتكلم بصيغة المفرد, أفضل أن يكون الكلام بصيغة الجمع.
واخذ الدكتور رؤوف نفساً عميقاً, وأجاب جبيراً بتأفف: لا بأس, سنقوم بتعقيم الأجهزة التي نحتاجها, وغدا صباحاً, سننتقل إلى المستشفى لأخذ الخزعة.

- هذا كلام جميل يقع على مسمعي كوقع سيمفونية رومانسية تدغدغ كل أحاسيسي ومشاعري.
- وهل عندك أذن موسيقية وأحاسيس؟
- يبدو أنك يا رؤوف لا تعلم شيئاً عن عالمنا, إننا شعب مثلكم, وعندنا موسيقى تخاطب الروح وليس كموسيقاكم التي تشبه ورشات الحدادة, عندما أسمعها أغلق أذني حتى لا تسبب تهيجاً في العصب السمعي السابع لدي. سأسمعك بعضاً من

مقطوعاتي الموسيقية التي قمت أنا نفسي بتأليفها.
وبدأ جبير بعزف الحانه, ورؤوف يحاول اغلاق
أذنيه بسبابتيه.

- كفى يا جبير إن أحنك تسبب لي ألما في أذني
لا أستطيع تحملها, أنا لا أقوى على سماع مثل هذه
الألحان.

- سأقل قدر المستطاع من عزف الألحان
بوجودك, ولكن ماهي هوايتك يا رؤوف?
- الرسم, فأنا أعشق الرسم.
- هذا جميل جدا فكلانا يعشق الفن.

انطلق الدكتور رؤوف الى مستشفى الأطفال, وقابل
صديقه الدكتور فارس, وأخبره بأنه بحاجة إلى أخذ
خزعة من رحم الفتاة لاستكمال بعض البحوث.
وأجابه الدكتور فارس بأن لا مانع من ذلك, طالما
خدمتنا في ايجاد الوسط البيئي الملائم في زراعة
البويضات عند اطفال الأنابيب.
أخذ الدكتور رؤوف خزعة من رحم الطفلة حيث
وضعها في الحاضنة المخصصة لذلك, وقفل راجعا
إلى المعمل.

والآن ماذا سنفعل يا جبير؟

فرك جبير يديه فرحا بهذا الإنجاز قائلا: الآن
سأقوم بوضعها في المصل المناسب لتخدير نشاطها
لمدة أربع وعشرين ساعة, وبعد ذلك سنقوم بنزع
نواتها. يجب أن تنتبه إلى سلامة أذنيك يا رؤوف
حتى تسمعني جيدا, لدينا عمل ليوم غد وأريد الآن
أن انام.

بعد مرور المدة الكافية, أربع وعشرين ساعة,
اجتمع الدكتور رؤوف وجبير لتدارس الموقف.
وقال الدكتور رؤوف: نحن الآن يا جبير مستعدون
لنزرع نواة الخلية, وجميع الأوساط البيئية مهياً
لذلك. كل ما نحتاجه هو خلية واحدة, وسنقوم بنزع
نواتها, وذلك حتى نستطيع أن نتحكم بانقسام الخلية.
- سيقوم السيد قووقل بعملية نزع النواة من الخلية
- ومن هذا السيد قووقل يا جبير؟ لم تحدثني
عنه من قبل!

- إنه أحد اختراعاتنا, وكما تعلم فإن قووقل هو
رقم حسابي, واحد وأمامه خمسون صفراً,
وسميناه بهذا الاسم لتناهي صغره, ولا يمكن
رؤيته إلا تحت عدسات المجهر الإلكتروني,
ويمكن التحكم به عن بعد, والآن سأريك
كيف يعمل. اقترب وانظر الى عدسات
المجهر.

بدا الدكتور رؤوف يحملق بقووقل, وبدأ جبير
بتحريكه حتى وصل إلى النواة, حيث تم توجيه
ذراعه نحوها, وبالأصابع الثلاثة التي يمتلكها,
التقط النواة, وأخرجها من حدود الخلية, ووضعها
في الصحن المخصص لها, والذي يحتوي على
المصل المناسب لحفظها.
- إنه عمل رائع وعلينا الآن تجميد نشاط النواة
حتى الخطوة التالية. قال الدكتور رؤوف
والفرحة تغمر محياه.

- أوافقك الرأي يا دكتور رؤوف, سنقوم بتجميد نشاطها وأعتقد أن الخطوة التالية هي العثور على بويضات أنثى بالغة.

- إن الحصول على بويضات أنثى بالغة ليست عملية صعبة يا جبير, فهناك الكثير منها في بنك مستشفى أنابيب الأطفال وكثيرا ما كنت أساعدهم في عملية ايجاد الوسط البيئي المناسب لتلقيح البويضات في انبوب الاختبار, سأذهب هذا المساء وأحضر عدة بويضات.

ذهب الدكتور رؤوف في المساء إلى المستشفى والتقى بصديقه الطبيب عوض, وأخبره بأنه بحاجة إلى عدة بويضات للقيام ببعض الابحاث التطبيقية عليها. لم يمانع الدكتور عوض في ذلك, وذهبا إلى بنك البويضات, وطلب من العاملين إعطاء الدكتور رؤوف عشر بويضات لأمرأة في الثلاثينات من عمرها.

عاد الدكتور رؤوف إلى المعمل فوجد جبيراً في انتظاره, وعلى الفور باسرا الاستعداد لنزع نواة البويضة, حيث قام جبير بتشغيل قووقل.

- ولنتذكر يا جبير ضرورة عدم العبث بالسيتوبلازم والغشاء الواقي للبويضة.

- هذه أمور بديهية ولا حاجة لتذكيري بها, قلت لك سابقاً إن لي أربعمئة عام من الخبرة. انتشل قووقل النواة من موضعها, ووضعها في الصحن المخصص لذلك.

- هذا إنجاز عظيم يا جبير, قال الدكتور رؤوف بصوت عال. الآن أصبح لدينا بويضة منزوعة النواة, سنقوم بغرز نواة الخلية الجسدية فيها.

- على رسلك يا دكتور, أنا أريد أن أنتزع الكروموسومات من النواة قبل زرعها في البويضة, واستبدال أخرى بها من عندي.
- هل جننت يا جبير؟ نزرع الكروموسومات ونستبدلها بأخرى!!
- نعم هذا ما قلته, وهذا هو مفتاح نجاحنا, لا نريد تقليدا للأخرين, إنه لا يجدي, وليس منه أي فائدة, ليس هدفنا استنساخاً, بل إنتاج كائن حي جديد ونحن نضع مواصفاته مسبقاً.
- هنالك ثلاثة وعشرون زوجاً من الكروموسومات, وتحمل جميع الشيفرات الوراثية لأي كائن حي, وأنت تقول أن نستبدل أخرى بها!
- هذا ما أعنيه يا رؤوف, وليس بالضرورة استبدال جميع الكروموسومات, ربما نبقى بعضها بما لا يؤثر على عملنا أو صفات الكائن المتوقع إنتاجه.
- يا جبير لقد عملت على استنساخ الدواجن ونجحت في هذا المجال, لقد غيرت الكثير في جيناتها, فأنتجت دجاجاً ببيض أربع مرات في اليوم, ونوعاً آخر دون ريش ودون أجنحة, وصنفاً آخر دون أحشاء أو رقبة, إذ يذهب الغذاء وبأقل كمية إلى الجزء المطلوب, ورغم ذلك يكون لديك خلال

- أسبوعين دجاجة مكتملة النمو وجاهزة للتسويق , وبالمناسبة فأنا لا أكل الدجاج, ومنذ بدايات نجاحاتي تحولت إلى نباتي , ولا أكل لحما, وفي حالات نادرة أكل الأسماك.
- وأنا يا عزيزي رؤوف قد حققت نجاحات كثيرة في استنساخ الأحياء البحرية. لقد زرعت الأسماك في كل البحار والمحيطات, فقد بذلت وغيّرت ومحوت الكثير من الجينات عند الأسماك, لأنّج أسماكاً بلا زعانف وبلا عيون وبلا حسك, أسماكاً منتفخة وممتلئة تثير شهيتكم ويسهل عليكم ايها البشر اصطيادها والتغذي عليها طازجة او معلبة. لقد غيّرت في جينات الحوت الأزرق, وبذلت أخرى عند الدلافين لتصبح اليفة فتراقصوها وتستمعوا بعروضها البحرية, لقد غيّرت في الخريطة الوراثية لسماك القرش, فأصبح أقل عدوانية وشراسة.
- حسنا يا جبير, منذ هذه اللحظة سأتوقف حتى عن أكل السمك.
- لا يهمني ذلك كثيراً, إن بحوزتي كروموسومات اصطناعية, لقد تم تصنيعها في معاملي على مدى عشرات السنين.
- وهل هذه الكروموسومات تحمل جميع الجينومات الموجودة في الأصل؟
- بالتأكيد لا , ولكنها تحتوي على 95% من الشفرات الوراثية.

- من غير الممكن زرعها في النواة, فهي غير ثابتة أصلاً, وزرعها يؤدي الى طفرات في المولود ولا أريد هذا أبدا.
- وتابع الدكتور رؤوف حديثه بانفعال شديد: نحن نتحدث عن إنتاج كائن حي بشري وليس إنتاج ديك دجاج أو سمك قرش.
- حسناً... حسناً أنا منفق معك, هناك ثلاثة وعشرون زوجاً من الكروموسومات, ويجب أن نتقاسمها بيننا.
- ما هذا الجنون الذي تقوله يا جبير؟ نتقاسم الكروموسومات بيننا؟ هل هي قطعة ارض نتنازع عليها لنقتسمها؟! هذا غير ممكن, هذه أمور لا نقاش فيها ولا جدال, هذه كروموسومات بشرية.
- لقد اتفقنا منذ البداية على أن المخلوق الذي سوف ننتجه هو جهد مشترك بيننا, فأنا لن أتخلى عن حقي, وأنت لن تتخلى عن اتفاقنا, يجب أن نتقاسمها بيننا.
- إذاً اخبرني أنت كيف لنا أن نتقاسم هذه الكروموسومات؟!
 - سوف أكون كريماً معك, سأعطيك اثني عشر زوجاً وأخذ أنا أحد عشر. وكل منا يضع فيها عصاره علمه لإنتاج الكائن البشري.
 - وما هي الأزواج التي ستختارها؟
 - سأختار الأول والأخير و...
- لا تكمل حديثك, لن أوافق أبداً على ذلك, هذه الكروموسومات بالذات لا نقاش فيها ولا اتنازل عنها. فأنت تعلم بأن الكروموسوم رقم واحد يحمل عشرة بالمئة من خريطة الجينومات للانسان,

والكروموسوم رقم ثلاثة وعشرون يحدد جنس المولود. كل ما تقوله لا يستوعبه عقل, أنا أرفض ذلك.

- نعم يا دكتور رؤوف, لا يستوعبه عقل, عبارة جميلة وهذا هو مربط الفرس. إن هدفنا أن نجعل من المستحيل ممكناً, ومن الممكن واقعاً, ومن الواقع حقيقة, ومن الحقيقة كائناً ملموساً. يجب أن نختلف عن الآخرين حتى نكون قادة ومتبوعين وليس تابعين. عندي اقتراح لك يا دكتور.

- وما اقتراحك يا جبير؟ قالها الدكتور رؤوف وهو يمسح رأسه الخالي من الشعر, إلا من بضع شعيرات تتناثر فوق الأذنين والرقبة, هات ما عندك يا جبير.

- أنا أعرف أنك تجيد لعب الشطرنج, وأنتك حاصل على بطولات كثيرة على مستوى الوطن والعالم, سنلعب الشطرنج أنا وأنت, والفائز يأخذ الكروموسوم رقم واحد.

- فكرة لا بأس بها, ولكن لا أستطيع أن أثق بك, ربما تطلب المساعدة من حيث لا أدري, والنتيجة أنا الخاسر, أريد فكرة أنت لست طرفاً فيها.

- ما رأيك لو ذهبنا إلى حلبة سباق الخيل وشاركنا في الرهان, والفائز يكسب؟

- هذه فكرة رائعة, أوافقك الرأي.

- سنذهب إلى سباق بروكسل للخيل.

- لا ليس هذا النوع من السباقات, إنهم يستعملون العربات, الجواد يجر العربة التي يعتليها الفارس, أريد سباقاً يكون فيه الفارس ممتطياً صهوة جواده.

- لا مانع عندي, اختر السباق الذي تريده.
- ما رأيك بسباق ديربي الانكليزي الشهير؟
- أوافق على ذلك, سنكون يوم الأحد القادم هناك.
دخل الدكتور رؤوف إلى مضمار السباق, وجلس في المقصورة الخاصة, ليتابع عن كثب السباق من خلال الشاشة, ومن خلال المنظار, وفكر بان يختار الشوط الثاني بعد أن يكون قد كَوّن فكرة كافية عن مجريات السباق وطبيعة الخيول والفرسان. بعد انتهاء الشوط الأول أعلن المذيع عن الاستعداد للشوط الثاني, ونزل الدكتور رؤوف إلى مضمار السباق عند الحاجز, وسمع صفير جبير ليخبره بقدومه. بعد استعراض الخيول المشاركة, التقت الدكتور رؤوف إلى جبير, وأخبره بأنه سيراهن على الفرس شمس الأصيل.
- وأنا ساراهن على الحصان سبع الليل, قال جبير.

أعلن المذيع عن بدء الشوط الثاني من السباق, وبدأت الخيول تجري وكل فارس يلكز جواده بالمهماز لتحفيزه على زيادة سرعته. انتهى الشوط الأول من السباق, وبدأ الشوط الثاني, وشمس الأصيل في المقدمة تسبق سبع الليل وتتقدم عنه بجوادين. وبدأ الدكتور رؤوف يفرك يديه فرحاً, وفي غمرة فرحه سمع جبيراً يطلق صفيراً كصهيل الحصان.

- لماذا تصهل كالحصان يا جبير؟ هذا لا يجوز, أنت تعلم أن الفرس عند سماعها صهيل الحصان, تخور قواها, وترتخي عضلاتها, ويقل نشاطها, ويتراجع جريها,

هذا خداع متعمد منك, ولا أقبل به. إن الرهان باطل.

- أنا لا اقصد ذلك أبداً كنت أسلي نفسي, وقلت لك يا دكتور مراراً أنني أعشق الموسيقى, وهذه من الالحان اللتي أقوم بتأليفها.
- لا أريد أن اسمع مهاترات, وهل تسمي هذا الزعيق ألعانا؟ الرهان باطل, ولن أقبل به.
- كم تشاء يا دكتور, سنختار شوطاً آخر تكون فيه الجياد التي نراهن عليها ذكوراً.

وأعلن المذيع مرة أخرى عن بدء الشوط الثالث للسباق, وبدأ باستعراض الخيول العشرة المشاركة, وأعلن عن أسمائها, وأسماء الفرسان, ووزن كل فارس, وكذلك أسماء مالكي الخيول. سأراهن على الحصان سهم رقم سبعة, قال الدكتور رؤوف.

- وأنا سأراهن على الحصان شاهين رقم أربعة, قال جبير.

بدأ الاستعداد للسباق. اصطفت جميع الخيول المشاركة على خط البداية منتظرة إعلان انطلاق صافرة البداية. أطلقت الصافرة, وبدأت الخيول العدو, وأعلن المذيع بحماس عن مجريات السباق. نهض الدكتور رؤوف من مكانه عندما قطعت الخيول الشوط الأول. وتابع المذيع تغطيته للسباق, الحصان رقم سبعة يتأخر ورقم أربعة يتقدم عليه, هناك مناورة من الفرسان المحترفين, وما زال ثمة متسع من الوقت. جميع المشاهدين وقفوا, رقم سبعة ورقم أربعة أصبحا في المقدمة, التنافس عال, هناك احتكاك بين الفارسين, كتف لكتف, ويقتربان من خط النهاية, لا أستطيع أن أميز بين

الحصانين, إنهما في خط النهاية معا, وأعلن المذيع بأنه لا نتيجة الآن, ويجب الاحتكام إلى الصورة في مثل هذه الحالة, سننتظر بضع دقائق. تناول الدكتور رؤوف كوباً من الماء وشرب منه رشفة, والتفت إليه جبير وقال: يبدو أنك الخاسر, إني اقرأ لغة جسدك, إنك بالكاد تبتلع ريقك. - وقر هذه القراءة لنفسك, سنرى من الفائز الآن.

أعلن المذيع بعد الاحتكام إلى الصورة أن أنف الحصان رقم سبعة متقدم بسنتمتر واحد عن أنف الحصان رقم أربعة. هل سمعت؟ حصاني هو الفائز. - اعترف بخسارة الرهان ولكن خسارة اليوم لا تعني أنك ستكسب بقية الكروموسومات. سنراهن على كروموسوم رقم ثلاثة وعشرين, وسيكون الرهان على سباق الهجن عندنا. - وباستغراب سأل رؤوف جبيراً, وهل عندكم جمال وسباق للهجن؟ - نعم... نعم, ولكن أنتم بني البشر لا تستطيعون رؤية ذلك, نحن أمم وشعوب مثلكم ونرفه عن أنفسنا, وهذا السباق من انواع الترفيه, وتكثر فيه المراهنات. - وكيف تريدني أن اراهنك على سباق لا أراه؟ - أنا سأخبرك عنه وأنقل لك صورة حية, هذا النوع من السباق يجري في المحيط الأطلسي, والهجن عندنا تختلف عن التي عندكم, يوجد لها سنامان وجناحان, ويبلغ متوسط وزن كل واحد منها 200 كيلو غراماً, وارتفاعه مترين, والهجان لا يزيد وزنه عن 30 كيلو غراماً, إنها من أشهر السباقات

عندنا, علاوة على أن للجمل ثلاثة اقدام واحدة في الامام واثنتين في الخلف, والخف يشبه القارب, وندعوه سفينة البحر, ومتوسط سرعته 20 عقدة, والجمل عندنا ليس حقودا كما هو عندكم, انه من الحيوانات المحببة والمدللة عندنا, والأنواع الأصيلة لا يقتنئها إلا الأثرياء.

- وهل له عنق طويلة كما هو حال الجمال عندنا؟
- لا ليست طويلة, طول العنق يشابه طول عنق الخيول عندكم, ولكن يستطيع أن يحرك عنقه 180 درجة, وأفضل الأنواع ذات اللون الأرجواني الناري, وتخلو من الوبر وذيلها يصل الماء عندما يقف على قدميه الخفيتين, وعند الالتفاف او الدوران يقف على قدمه الأماميه.
- إن مسافة مضمار السباق طويلة, فأين تقف جماهيركم التي تشجع السباق؟
- جميع الأمور محكمة, والجميع يقف ويشاهد السباق على مشارف المضمار من الجانبين, حيث يبلغ عرض المضمار مائة كيلومتر. وهناك محطات كثيرة منتشرة على الجانبين من أجل المراهنة, ويجري السباق في يوم راحتنا, يوم الثلاثاء.
- إن هذا غريب لم أسمع أو أقرأ عنه, وما زلت غير مطمئن لهذا الرهان.
- أنا لا أريد أن أخدعك أبدا, وان كان عندك طريقة أخرى للرهان فأخبرني بها.
- لا توجد عندي أية طريقة أو فكرة.
- لقد اقترحت الرهان على سباق الخيل, ووافقتك الرأي, وأنا اقترح عليك احد سباقاتنا, ولماذا هذا التخوف؟ نحن فريق واحد, وهدفنا واحد.

- اتفق معك, نحن فريق واحد, وأقبل المراهنة على سباقكم.
- سنكون يوم الثلاثاء القادم في جزيرة الكلاب لنتابع مجريات السباق.
- لا أريد أن اذهب معك, أعطني مواصفات الجمال التي ستشارك وأنا أختار واحداً.
- لقد تم الإعلان عن السباق قبل شهر, وأستطيع أن أخبرك عن كل التفاصيل التي تريدها.
- أريد أن أراهن على جمل أرجواني ناربي اللون.
- يبلغ عدد الجمال المشاركة مائة جمل, وكل جمل يسابق في مضمار عرضه كيلومتر مخصص له, وإذا خرج عن مضماره يخرج من السباق. الجمال ذات الأرقام خمسة وأربعين وتسعة وخمسين وثلاثة وسبعين واثنتين وتسعين ألوانها أرجوانية نارية. كتب رؤوف الأرقام التي ذكرها جبير كلا على قصاصة ورق صغيرة, وطواها, ثم وضعها في كأس, وقام برجها, ثم سحب قصاصة منها, وقال لجبير: أراهن على رقم تسعة وخمسين.
- وأنا سأراهن على رقم اثنين وتسعين, ساخبرك بالنتيجة صباح يوم الأربعاء القادم.
- وفي الموعد المحدد جاء جبير فرحاً يطلق ألقابه التي اعتاد عليها رؤوف. جئت لأخبرك يا دكتور عن نتيجة الرهان.
- أنا اعرف النتيجة يا جبير, أنت من فاز بالرهان.
- هذا صحيح, ولكن كيف عرفت ذلك؟
- إحساس وحسب.
- نحن الآن متعادلان, وبقي امامنا واحد وعشرون زوجاً من الكروموسومات.

- يجب أن نتفق يا جبير على عدم العبث بكروموسوم رقم ثمانية وتسعة واحد عشر واربعة عشر واثنين وعشرين, اذ ان أي خلل بها يسبب امراض السرطان المختلفة, ولا أريد أن أدخل في مثل هذه المتاهات أبدا في المستقبل.
- سمعا وطاعة يا رؤوف, سنخرج هذه الكروموسومات من لعبتنا, وأريد أن أضيف إليها رقم خمسة, وسبعة, وثلاثة عشر, وستة عشر, وتسعة عشر, وواحد وعشرين, لان أبحاثي أثبتت أنها تغير من سلوك الشخص, فيميل إلى العنف الشديد, والقسوة, وعدم الرحمة, والبخل الشديد وفقدان الشهامة والمروءة, وكثرة النزوات.
- بقي لدينا عشرة كروموسومات, كيف سنتقاسمها؟
- من البديهي أن نتقاسمها مناصفة.
- أنا أخالفك الرأي, فانت حصلت على الكثير, ويكفي انك تتحكم بجنس الجنين, يمكنك أن تأخذ الكروموسومات ذات الأرقام المفردة وأخذ أنا ذات الأرقام المزدوجة.
- هذا يعني حصولي على كروموسوم رقم (3) ورقم (15) ورقم (17).
- بالتأكيد هذا ما ستحصل عليه.
- لا أريد أن أدخل معك يا دكتور بنقاش عقيم, سأنصاع إلى أمرك. أنا بحاجة إلى ثمان وأربعين ساعة لأضع ما يخصني من الكروموسومات في النواة.
- وأنا بحاجة إلى اثنتين وسبعين ساعة, بعدها يجب أن نبدأ العمل.

وتابع الاثنان وضع الكروموسومات في النواة المنزوعة من الخلية الجسدية. رؤوف يراقب من خلال المجهر الالكتروني وجبير يحرك قووقل لوضعها في مكانها. بعد العمل المضني تم نقل النواة إلى البويضة, وتم وضعها في المصل الخاص بها, وتم تجميد نشاطها.

- إنه إنجاز رائع ما قمنا به يا رؤوف, ما قمنا

به سنتحدث عنه كل وسائل الإعلام ولكن

نريد التعظيم في هذه المرحلة.

- ولكن المرحلة القادمة هي الأصعب, يجب أن

نجد امرأة حاضنة لزرع البويضة في رحمها.

- لقد قمت بمسح شامل في السابق, وتوصلت إلى أن

أفضل امرأة تخدم غرضنا موجودة عند قبائل الأنديز

في امريكا الجنوبية, إنهم يؤمنون بعودة الروح, ومن

السهل أن نجد ضالتنا عندهم, سترحل بعد أسبوع إلى

منطقة الأنديز, احزم أمتعتك الشخصية, وأنا سوف أهتم

بحزم جميع ما يتعلق بمشروعنا.

- ولكن إلى أين بالتحديد؟

- ستذهب أنت وحدك إلى منطقة ماشو بيشو في

البيرو, وسألحق بك فيما بعد, يجب أن تتدبر أمرك

وحدك, وعندما تستتب أمورك, وتجد المرأة

المناسبة, سأكون بجانبك, غدا سأحضر لك كل ما

تحتاجه من نقود ومستلزمات.

- ولكن هذا الأمر يتطلب بعض الوقت لايجاد المرأة

المناسبة التي تقبل زرع البويضة, لا اعتقد أنه عمل

سهل.

- أعرف ذلك, وهذه مهمتك وحدك, وأنا متأكد من

نجاحك في هذه المهمة التي لا تصعب عليك.

-3-

وصل الدكتور رؤوف إلى ليما عاصمة البيرو،
ومن هناك استقل الطائرة إلى مدينة كوسكو،
عاصمة حضارة الانكا، حيث مكث فيها يومين،
ومن ثم استقل القطار متجها الى ماشو بيشو، وهي
من القرى الملكية القليلة الباقية من مملكة الانكا،
وتقع على وادي اوروبامبا، وترتفع عن سطح البحر
حوالي ثلاثة الاف متر. تجول الدكتور رؤوف في
جميع أرجاء القرية، وزار أماكنها الأثرية الشهيرة
من الهرم والمعبد، وشاهد المومياء، وقلعتها
الشهيرة. وبينما هو جالس على إحدى العتبات عند
مدخل القلعة، اقترب منه أحد الأدلاء السياحيين،
وعرض عليه خدماته كدليل سياحي يستطيع أن
يشرح له تاريخ حضارة الانكا باللغة الانجليزية
والفرنسية والاسبانية والبرتغالية.

- أشكرك يا سيدي، لقد تجولت بما فيه الكفاية،
وليس عندي إلمام كاف بتاريخ شعب الانكا،
أنا عالم في الانثروبولوجيا ومهتم بحضارة
الانكا وشعبها وبحاجة لدراسة ميدانية عن
قرب وعن كثب لإحدى قبائل السكان
الأصليين.

- هناك الكثير من العلماء والباحثين يأتون الى
هنا لعمل دراساتهم وأبحاثهم، وقد عملت
دليلا ومرشدا لهم، الكل يعرفني اسألهم عني،
اسأل عن " راؤول".

دنا الدكتور رؤوف من راؤول وقال له بصوت
خافت.

- اسمع يا عزيزي راؤول, أريدك أن تعمل معي دليلاً ومرشداً, أريد أن ترشدني إلى منطقة نائية بعيدة عن المدينة, ويقطنها فقط سكان أصليون.
- هناك منطقة تدعى "واياهويا" يا دكتور, وتقع في أعماق الغابات, وتحت سفح إحدى جبال سلسلة الأنديز, ويقطنها حوالي مائتين وخمسين نسمة فقط, وهم قوم مسالمون, ويعيشون حياة شبه بدائية. إنهم ينتمون إلى قبيلة "وايكا" التي تمتد إلى الحدود الكولومبية والفنزويلية. وأعرف زعيمهم معرفة جيدة حيث تربطني به او اصر قربي.
- إن هذا هو مرادي بالضبط يا راؤول, وربما يستغرق مكوثي عندهم عاما او اكثر, فكيف السبيل للوصول إليهم؟
- نحتاج إلى أربع عشرة ساعة تقريبا للوصول إليهم, وعلينا أن نستأجر ثلاثة من الخيول لرحلتنا, اثنين للركوب, والثالث لحمل أمتعتنا ومؤنتنا والهدايا التي ساشتريها لزعيمهم.
- لا بأس, هذه خمسمائة دولار اشتر بها لزعيمهم الهدايا التي يحبها, واستأجر الخيول المناسبة لرحلتنا.
- هذه النقود لا تكفي, اعطني خمسمائة دولار اخرى, وسأعود إليك بعد أن أتدبر الأمر, ولا تنس مكافأتي يا دكتور.
- عاد راؤول في المساء, واخبر الدكتور رؤوف أن الانطلاق إلى "واياهويا" سيكون فجر الغد.

انطلق الاثنان عبر طرق ضيقة لا تسلكها إلا الدواب,
وأشجار الغابة الباسقة تحيط بهم من كل جانب, و
راؤول يشرح للدكتور في كل منطقة يمرون بها عن
المزروعات ومناجم الذهب ومقالع الحجار الكريمة.
- إن أرضنا غنية ولكن يوجد سوء تخطيط في
الإدارة. الحكومة المحلية عاجزة عن
السيطرة الكاملة على ثروات الشعب.
وصلا إلى "واياهويا" بعد رحلة شاقة
استغرقت ست عشرة ساعة, وكان في استقبالهم
زعيم القبيلة الذي رحب براؤول ترحيبا حارا,
وخصوصا بعد أن قدم له الهدايا من السيجار
والعطور والكحول. تحدّث راؤول مطولا إلى
زعيم القبيلة بلغة خاصة بهم, وبعدها التفت نحو
رؤوف وقال: إن الرعد الهادر, وهو اسم زعيم
القبيلة, وافق على أن تسكن في منطقتة, وسوف
يساعدك ويمنحك خيمة لتقيم بها.
نهض الدكتور من مكانه, وصافح الزعيم بحرارة
شاكراً له استضافته.
أقام الدكتور في خيمته المصنوعة من جلد اللاما,
وفيها بعض المنسوجات الصوفية البسيطة واللازمة
لنومه, ووضع الصندوق الذي يحتوي ملبسه
وحاجياته في ركن الخيمة.
كان الدكتور رؤوف يخرج كل يوم من خيمته, ويتجول
بين خيام أفراد القبيلة, ويخرج إلى المناطق المجاورة,
وبقي على هذا المنوال عدة اسابيع.
وفي أحد الأيام أخبر الزعيم الدكتور رؤوف بأنه
سيذهب في رحلة صيد على الأقدام, وعرض عليه
الانضمام إلى مجموعته.

- لا أمانع في أن أذهب معكم أيها الزعيم ولكن لا توجد عندي أي خبرة في الصيد.
- لا بأس في ذلك وسيكون دورك المراقبة والمشاهدة.

رحل الزعيم و مجموعته المكونة من ثلاثة أشخاص والدكتور رابعهم مبكرين, وكل واحد منهم يحمل على ظهره كنانة فيها سهام لا يتجاوز طولها عشرين سنتيمترا وقوسا. وعلى خاصرة كل واحد منهم جراب من الجلد, وتتدلى من الكتف الايسر قربة ماء مصنوعة من الجلد أيضاً.

كان دائماً أحد الأشخاص في المقدمة يسبق المجموعة بحوالي خمسين مترا ويحمل ساطورا لقطع الأغصان والشجيرات التي تعترض طريقهم. وفجأة أشار إليهم رجل المقدمة بالتوقف في مكانهم, فقد رأى نمراً مرقطاً عن بعد, وشك أنه ربما تتبعه نمور اخرى. عاد إليهم مسرعاً ثم تهامسوا فيما بينهم و قال زعيمهم بصوت مرتفع إليكم الخطة:

- أنت يا دكتور تتسلق هذه الشجرة, وكن يقظاً لرؤية النمر. وفتح جرابه وأعطاه أوراق نبتة جافة, وطلب منه أن يبقيها معه, وأن يلوكها عند شعوره بالإرهاق أو النعاس, كي يبقى مستيقظاً, وحتى لا يسقط عن الشجرة.
- ما أوراق هذه النبتة الجافة أيها الزعيم؟
- هذه أوراق نبتة الكوكا, نحن هنا نلوكها غضة أو جافة, وأنتم في المدينة تشربونها شراباً منعشاً, لقد احضر لي راؤول من هذا الشراب المأخوذ من الكوكا, ولكن لم أستسغه أبداً. أفضل شرب الكحول عليه.

وأخرج الزعيم من جرابه أنبوباً صغيراً من الخيزران، وفي داخله مادة لزجة سوداء اللون، وغمس رأس السهم في المادة، وقال موجّها الكلام لرؤوف : إن هذه المادة هي خلاصة نبتة "الكوراري" ونستعملها في صيد الحيوانات إذ تشل حركتها دون موتها، ونقدر الكمية حسب حجم الحيوان. أمر الزعيم رجاله بالانتشار في المنطقة كلها، وطلب منهم الصراخ بصراخهم المعهودة إذا تعرض احدهم للخطر أو صاد نمرا، وذكرهم بذلك، حيث وضع كلتا يديه على فيه كأنهما بوق، وأطلق صوتاً قال أنه صوت صرخة محاربي الامازون .

صعد الدكتور رؤوف الى أعلى الشجرة، واتخذ عززاً لاه، وأوراق الكوكا في جيبه. وبدأ المراقبة. لم ير شيئاً حوله سوى أشجار باسقة ذات أوراق عريضة تحجب الرؤية عن بعد، وبدأ نسيم عليل يداعب رأسه الأضلع، تسلل النعاس إلى أجفانه وهو يحاول التركيز على جهة الشمال، لعل نمرا يأتي من هذه الجهة. دس يده في جيبه ليتحسس أوراق الكوكا.

- إذا مضغتها فقد يقودني ذلك إلى الادمان بسبب مادة الكوكايين الموجودة بها، وسأعتاد عليها، وبالنسبة للزعيم وجماعته، فالأمر سيان فأشجار الكوكا منتشرة بكثرة، ويحصلون على مؤونتهم منها بسهولة. لا... لا... لن ألوكها، سأبقيها في جيبى. وبدأ النعاس يغلبه، ولم يستطع أن يقاوم سلطانه. وفجأة هوى إلى الأسفل ليرتطم بالأرض، وبلا شعور أطلق صرخة مثل صرخة محاربي الامازون، ليرى نفسه محاطاً بهم، والزعيم يمسك بساقه ويقول إن الاصابة طفيفة لا تتعدى كسراً خفيفاً في عظمة الساق، وسأقوم بالمعالجة، حيث قام بشد ساقه بقوة، ومزق سرواله ليصنع من

القماش ضمادة. رأى أوراق الكوكا تسقط من جيبه، ونظر الزعيم إلى السماء ثم إلى الدكتور وقال مخاطباً جماعته: ان الآلهة قامت بمعاقبته لعدم إطاعته أوامري. وضع الزعيم عدة أوراق من إحدى الأشجار تحت الضمادة، وطلب منه عدم الحراك. وعادوا أدرأجهم الى "واياهويا" دون أن يصطادوا شيئاً. وبعد ثلاثة أسابيع بدأ الدكتور رؤوف يستعيد عافيته شيئاً فشيئاً، وقرر أن يذهب إلى الينبوع للاستحمام، فهناك ينابيع كثيرة منشرة منها العذب الزلال ومنها الساخن الذي تفوح منه رائحة الكبريت. وقرر أن يذهب إلى الينبوع الساخن أولاً ومن ثم إلى الآخر. وعند عودته وجد مدخل خيمته قد تغير إلى جهة الشرق بعدما كان الى جهة الشمال وأمام الخيمة سبعة رؤوس من حيوانات اللاما وعشرة رؤوس من خراف "الألباكا" وحصان. ذهب مسرعاً إلى الرعد الهادر ليستوضح الأمر.

- إنك بحاجة إلى زوجة يا دكتور.
- ولكن أنا لا أرغب بالزواج.
- بعد حادثة الصيد أعتقد بأنك بحاجة إلى زوجة لتدبير أمورك والعناية بك، وقررت إهداءك سبع رؤوس من اللاما، وعشرة رؤوس من خراف "الألباكا"، وحصاناً لتكون نواة لثروتك. وكما ترى إننا نربي اللاما والألباكا، ونحتاج إليها للتنقل، أو لأكل لحومها، وعمل حبال وملابس من وبرها، ونجفف روثها لنستعمله وقوداً للتدفئة في ليالي الشتاء الباردة. ولا تنس ما حل بك عند

الصيد لأنك خالفت امري. فستعاقبك الآلهة
عقاباً أشد من كسر ساقك.

- ولماذا تم تغيير مدخل خيمتي؟
- عندما يتزوج الشخص يكون مدخل خيمته
للشرق, باتجاه شروق الشمس رمزاً للحياة,
وعند الموت يتحول المدخل إلى الغرب,
رمزاً للذهاب من هذه الدنيا إلى الحياة
الأخرى, وفي حالة العزوبية يكون مدخل
الخيمة إلى الشمال, بانتظار هبوب الرياح
الناعمة لتجلب له الزوجة التي يحبها. وعند
وفاة الزوجة, يتحول المدخل نحو الجنوب
للدلالة على أنه أرمل, وهكذا تستمر دورة
الحياة.

- إنها فلسفة عظيمة لشرح دورة الحياة أيها
الزعيم, ولكن أيها الزعيم المبجل, أنا لست
مستعداً للزواج.

- لقد ذكرت يا دكتور عند قدومك إلينا بأنك ستمكث
معنا قرابة عامين أو أكثر. وبدأت الآن استعادة عافيتك,
وكما ترى لا يوجد عندنا مستشفى أو أحد للاعتناء بك.
إن زواجك سوف يؤمن لك الزوجة التي تساعدك,
وتخفف عليك الآلامك, وتدبر شؤونك, وأنا لا أجبرك
على الزواج, بإمكانك الرحيل إن شئت, وبقاؤك هنا
مرهون بزواجك, وربما يساعدك في دراستك العلمية
لقبيلتنا.

- أريد وقتاً لأفكر بالأمر.
 - غدا عند الغروب أنتظر ردك.
- عاد الدكتور إلى خيمته ووضع يديه تحت رأسه,
وبدأت أفكاره تتصارع بين مد وجزر.

- لقد شارفت على منتصف الأربعينيات من عمري, وأفنيت حياتي في بحوث علمية لا يقدرها أحد, ولا يعيرها إنسان أي اهتمام. إنني أبحث وأكتب وأنشر ولا شخص يسمع عني شيئاً, ربما لو كنت لاعب كرة قدم أو مطرباً, لانتشر اسمي على كل لسان في جميع القارات, وهناك الكثير منهم بالكاد يميزون الالف من العصا, ويجنون الملايين, ويتهاقت الناس على الحصول على تواجيعهم, وأنا وغيري ممن نسمي انفسنا علماء, لا أحد يسمع عنا, أو يكثرث بنا. وهذه فرصتي في أن أصبح من مشاهير العلماء. لم يكن بالحسبان هذا الزواج. أين أنت يا جبير!؟ في الموعد المحدد ذهب إلى الزعيم وأخبره بقبول عرض الزواج.

- لقد اخترت لك نسمة الانديز, وهي من حسان نساء القبيلة, لتكون زوجة لك. وبعد اسبوع عندما يكون القمر بدرًا, سنقيم احتفالاً بزواجك.

جلس الرعد الهادر لابساً تاجاً مصنوعاً من الريش الطويل, ورؤوف إلى جانبه, واصطف حوله الرجال في نصف دائرة, والنساء في نصف دائرة أخرى, تتوسطهن نسمة الانديز.

أعطى الزعيم الإشارة ببدا الاحتفال, وبدأ قرع الطبول, وأخذ الرجال يرقصون حاملين رماحهم وفي أعناقهم قلائد مصنوعة من أنياب الحيوانات التي اصطادوها للدلالة على الشجاعة, إذ أن كثرة القلائد تدل على قدر شجاعته وعلو مرتبته في القبيلة. بدأ

الرقص المنفرد, ثم الرقص الثنائي والثلاثي والرباعي. تشابكت أيديهم, واحتكت مناكبهم, وتمايلت أجسادهم ذات اليمين وذات الشمال, ثم انخفضت إلى الأسفل لتلتقي رؤوسهم وتتشابك أيديهم عند أعناقهم, وبدأوا الدوران عكس اتجاه عقارب الساعة, يحركون أكتافهم, وازداد انخفاضهم, وعلا قرع الطبول, ومع ارتفاع هديرها, أخذوا ينفصون ثم يبتعدون, ليعودوا بعدها كل اثنين متقابلين, ويتجهوا نحو زعيمهم بخفض الرؤوس, دلالة على التعظيم, وإشارة إلى أنهم يعدونه برحلة صيد, والتغلب على الفريسة وتقديمها له مع الطاعة.

والنساء ينظرن باعجاب إلى الراقصين, ونسمة الانديز بينهن تحمل على رأسها تاجاً صغيراً من الريش. اقترب الراقصون من الدكتور رؤوف, وأخذوه بينهم, وبدأ قرع الطبول يعلو, وبدأت النسوة يدفعن العروس, نسمة الانديز, باتجاه العريس, وهي تحاول العودة الى الوراء, ولكن لا سبيل إلى ذلك, فجميع النسوة يدفعنها إلى الأمام, والعريس محاط بالرجال ويدفعونه نحوها, حتي التقيا. مد يده, ومدت يدها, لتتلامس الاصابع, وتتشابك الايدي, وتجتمع راحتا اليدين. قام الزعيم من مكانه ليبارك هذا الزواج, ويبتهل للآلهة " أبوس " والآلهة " باتشاما كي " بأن يشملا العروسين بالرعاية, طوال رحلة الحياة في هذه الدنيا. وأمر بنحر خراف الألباكا وليمة للمدعوين.

مضى فصل الشتاء طويلاً على الدكتور رؤوف، إذ لم يعمل شيئاً سوى مساعدة زوجته في تمليح اللحم وتجفيفه، وهذا الذي يطلقون عليه اسم "الشارون"، وصنع الكنوا والشونو من البطاطا الجافة المهروسة.

وفي إحدى الأمسيات بينما كان رؤوف منهمكاً بعمله، سمع صفيراً خفيفاً قادماً نحوه، فعرف بأن جبير قادم.

- كيف أنت يا دكتور رؤوف؟ يبدو أنك تستمتع بحياتك الزوجية وسعيداً بها.
- أنا لا أنكر ذلك، قال رؤوف بسعادة غامرة، وكان صديقاً حميماً جاء لزيارته.
- ولكن لا أريد زواجك أن ينسبك ما أتيت إليه. لقد وعدتك بأن أتيك عندما تجد المرأة المناسبة لمشروعنا، ولكني لم أستطع الانتظار أكثر من هذا الوقت. بدأت أشك بأنك ما عدت تهتم بالأمر.
- أنا ما زلت مهتماً بمشروعنا، وزواجي لم يكن بمحض إرادتي. كان يجب أن أقبل به حتى أستمر بالعيش هنا.
- أصدقك يا رؤوف، سأتركك الآن لإتمام تمليح اللحم.

ومع إطلالة الربيع بدأ أفراد القبيلة بالاستعداد للاحتفال بعيد ابن الشمس "انتي" الذي من أجله بنوا الأهرامات المدرجة اعتقاداً منهم ببلوغ شعاع الشمس.

وفي اليوم المحدد للاحتفال أعطى الزعيم الأمر ببدء
المراسم بعد الزوال. أشعلوا النيران أمام كل خيمة,
واصطف البالغون من الرجال أمام الزعيم ليعطي كل
فرد حصته من مسحوق ذرورات من "الابينا" الذي يتم
تحضيره من عصارة لحاء شجرة "الفيرولا" المنتشرة
حولهم. يأخذ كل فرد الكمية المخصصة له, ويبدأ
بادخالها في فتحة الأنف, ويكون قد صنع لنفسه قشة
من الخيزران على شكل حدوة فرس, أو من عظام
الحيوانات, بحيث يضع الذرورات في طرف القشة,
ويضعها عند فتحة الأنف, ويغلق بابهامه فتحة أنفه
الأخرى, والطرف الآخر عند فمه لينفخ بها. وأحيانا
تكون القشة طويلة ومستقيمة توضع الذرورات في
طرف, ويقوم شخص آخر بالنفخ, ويتناوبان الأمر
بينهما. تدخل الذرورات الى داخل الغشاء المخاطي,
ويتم امتصاصها, ويبدأ مفعولها, وذلك بالتأثير على
الجهاز العصبي المركزي, مما يسبب حالة من الهوس,
وينتقل الشخص عندها من حالة الوعي إلى حالة
اللاوعي. ويستمر هذا الإحساس مدة ساعة, بعدها يخلد
للنوم لعدة ساعات.

دنا الزعيم من الدكتور وبيده قشة طويلة, ووضع
طرفها على فتحة أنفه, وطلب منه أن يضبط بابهامه
على فتحة الأنف الأخرى.

- عندما أبدأ بالنفخ في القشة, خذ نفسا عميقا واستنشق
الذرورات.

فعل الدكتور ذلك, وبعد برهة من الزمن, بدأت الألوان
أمامه براقعة مبهجة, وأخذت تتراقص وتتمايل. شعر
بأنه عملاق. فرك عينيه بكلتا يديه. عندها شعر
بتداخل الألوان بعضها ببعض ليخرج منها نسر ضخم

انقض عليه وحمله بمخالبه إلى الأعلى.
- ما هذا الذي يحملني بمخالبه, هل هو نسر ضخم؟
نسر أو كدجر؟ لا انه ليس منهما, انه طائر العنقاء,
خذيبي أيتها العنقاء إلى الأعلى والأعلى, ارفعيني عاليا
حتى ألمس شعاع الشمس. اني أرى سفن أجدادي
العرب تنطلق من كل موانئ الجزيرة العربية وبحر
العرب لتمخر عباب المحيطات رافعة أشرعتها. اني
أرى سفن أسلافي تنزود بالمؤمن من ميناء " فاق فاق"
في غينيا الجديدة, وتبحر حتى تصل إلى هنا, إلى هذه
الارض وأسموها "عريب" ليؤسسوا حضارة "العنقاء"
وعندما جاء الغزاة دمروا حضارة أجدادي باسم
الحضارة, وأسموها حضارة "الانكا", لماذا غيروا
اسمها ولم يبقوها "العنقاء"؟ وغيروا اسم البلاد, وذلك
بقلب الأحرف, كما قلبوا الحقائق, وذلك بعكس أحرف
"عريب" ولصعوبة لفظهم حرف العين, استبدلوا الواو
بها, أسموها "بيرو". ارفعيني أيتها العنقاء عاليا لأعيد
أمجاد أجدادي وحضارة أسلافي, خذيبي إلى جزر
"واق الواق", خذيبي اليهم لأقبل أياديهم, وأركع تحت
أقدامهم. واستفاق الدكتور من غمرة نشوته ليجد نفسه
راكعاً تحت قدمي الزعيم, وساله عن شعوره أثناء
رحلته؟

- شعور رائع أنني أنتمي إليكم أيها الزعيم, لقد
تناسخت روحي من أجدادي لأعود إليكم وأتزوج من
بناتكم, أنا من هذه البلاد والآن عدت إليها.
- إننا نؤمن بالعودة الى الحياة بعد الموت, ونعتقد
أن الشخص يبقى ثلاثة أيام فقط ميتاً ثم يعود
إلى الحياة مرة اخرى في صورة شخص آخر.
وما هذه المومياء الموجودة في معابدنا إلا دليل

على ما نعتقد. إنني بحاجة إلى عودتهم إلى الحياة, بحاجة لأن أملأ الأرض منهم لأزيل ضيم الغزاة وظلمهم عن قبيلتي وعن القبائل الأخرى. انظر حولك, لقد كانت حقول الذرة تغطي كل عالمننا, لا نعرف لها بداية ولا نهاية. وكانت قطعان اللاما تسرح بدون حدود, كل قبيلة تضع وسمها على أذن أنعامها التي تعود إلى مالکها بالغريزة. عندما جاء الغزاة, كانوا يملكون الكتاب, ونحن نملك الأرض, والآن نحن نملك الكتاب وهم الأرض. لذلك أثرت أنا وقبيلتي أن نعتزل عالمهم, ونبتعد عنهم, ونعود للعيش كما كان أجدادنا في السابق.

- ولكن كيف تعود الأرواح إلى موتاكم؟
- نحن نؤمن بأن ما يحرك الإنسان هي الطاقة, وفي علومكم تقولون إن المادة لا تفنى ولا تخلق من العدم, ونحن كذلك نؤمن بأن الطاقة لا تفنى ولكنها تتجدد. عندما يولد طفل تكون طاقته محدودة, وتكبر معه حتى تصل أوجها في مرحلة الشباب, ومن ثم تخبو شيئاً فشيئاً حتى تنتهي وتعود كما بدأت. فالموت بالنسبة لنا هو انتهاء طاقة الشخص, وبعد ثلاثة أيام من موته, تنتقل هذه الطاقة إلى مولود آخر. وذبذبات الطاقة عند الموت تعادل الذبذبات عند الولادة, وهكذا. الشمس والبرق والرعد والبراكين والغيوم كلها تنتهيج بسبب الطاقة, مثل الإنسان تماماً. وعندما تخبو تقل طاقتها معها.

- من أي جامعة تخرجت أيها الزعيم؟
- ضحك الزعيم من كل قلبه وأجاب بأنه تخرج من جامعة " ديلانتيروس".
- لم أسمع بهذه الجامعة من قبل.
- ولكن عندي فكرة أيها الزعيم العظيم أيها الرعد الهادر.
- و ما هي فكرتك يا دكتور؟
- إنني وزملاء لي نعمل على إنتاج كائن بشري.
- كيف تنتجون كائناً بشرياً؟
- كما تنتجون فطائر من دقيق الذرة, فحبات الذرة بعد نضجها تتحول إلى دقيق, ثم يتم عجنها بالماء, ومن ثم شيءٌ لها لتكون جاهزة للأكل.
- وهل ستقومون بسحق عظام المومياء وعجنها وشيها لتعاد لها طاقة الحياة؟
- لا... ليس الأمر كذلك, انني بحاجة الى كائن حي, إلى امرأة, كي تكون حاضنة لبويضة مخصبة لمدة الحمل وحتى الولادة.
- وهل ستكون هذه الحاضنة هي الأم؟
- لا... نعم, اقصد نعم هي الأم, قالها رؤوف بتلعثم وارتباك واضحين.
- ومن هو الأب؟
- سنجد له أبا عندما يولد.
- ومنذ متى نجد للأبناء آباءً عندما يولدون؟ وهل سيكون يتيماً؟ أو أن أحدا ما سيتبناه؟ أو هل ستقوم أمه بتربيته؟ ومن سيكون أقرباؤه؟ وأسم من سيحمل؟

- أيها الزعيم الرعد الهادر, هذه الأسئلة سيجاب عنها في حينها.
 - لا... لا... إن ما تعرضه علي ليس بالأمر السهل, وليس كإنتاج فطائر الذرة يا دكتور.
 - أرجوك أيها الزعيم أن تساعدني, لم لا تذهب إلى الآلهة التي باركت زواجي وتسالها ان تبارك هذا الأمر.
 - إن ما تهذي به ناتج عن تأثير مسحوق ذرورات الايبينا, بدأت بهذه المطالب من أعراض أول تأثير لها, ولا أعلم ما مطالبك في المرات القادمة, لذا قررت عدم إعطائك إياها مرة أخرى.
 - أوافقك الرأي تماما ولن أتناولها ثانية, ولكنني جاد في الأمر الآخر وأريد مساعدتك. أرجوك أن تتوسل إلى الآلهة لتباركه.
- عندها بدأ يسمع صوت صغير جبير الذي همس في أذنه: استمر يا دكتور رؤوف في هذا حتى نستطيع أن نحصل على ما نريد. استمر في التوسل إليه.
- ولن أطيل مكوثي عندك حتى لا اجلب الانتباه إلى أنك تحدث أحدا آخر.
- واستمر رؤوف يتوسل إلى الزعيم, وأجابه:
- سألبي لك هذا المطلب فقط, وسأستشير الآلهة وأخبرك النتيجة. أريدك أن تذهب مع رجال القبيلة إلى ماشوبيشو لتبيعوا الملح وتجلبوا لنا السكر, وأريدك أن تقابل راؤول وتخبره أن يأتي معك, ولا تنسى أن تخبره بأن يحضر معه التبغ والكحول.

- أنا رهن إشارتك أيها الزعيم المبجل.

-5-

- بعد أن عاد رؤوف من رحلته, توجه بصحبة رؤول إلى الزعيم ليستفسر منه عما أخبرته به الآلهة.
- لقد أخبرتني الآلهة بأن ما طلبته لا يتم إلا عن طريق الزواج.
 - ولكني كما تعرف أيها الزعيم أنني متزوج من نسمة الانديز.
 - هذا لا يمنع من أن تتزوج من زوجة ثانية.
 - وهل ستقبل زوجتي بوجود واحدة أخرى؟
 - هناك أرملة توفي زوجها العام الماضي بمرض الملاريا, اسمها قطرة الوادي, سأخبرها أن تأتي إلى خيمتك وبحضور زوجتك, وتضع شعرها على قدميك, وإذا وضعت نسمة يدها على رأسها, وأخذت بيديها لتنهضها, فهذه إشارة منها بالموافقة على زواجك منها.
- وفي وقت القيلولة كان رؤوف ونسمة جالسين داخل خيمتهما, وإذا بفتاة تتقدم نحوهما, في بداية الثلاثينيات من عمرها, جلست عند قدميه ونشرت شعرها الطويل عليهما دون حراك, ونهضت نسمة من جانبه متجهة نحوها, ووضعت يدها على رأسها, وأمسكت بيديها, وساعدتها على النهوض. ماذا أفعل الآن يا نسمة؟
- لقد أصبحت زوجتك, ولديك الآن زوجتان.
 - لدي زوجتان! لم أفكر أصلا بأن أتزوج واحدة, وأنا الآن أمتلك اثنتين! لقد تحدد والد الناتج الحي من هذه اللحظة, شئت أم أبيت, سأكون والده. فالمرأة الحاضنة هي زوجتي, وبالتالي المولود سيكون ابني. وكيف افسر لهؤلاء الناس ما يحدث؟! هل أستمر في

مشروعى أم أترجع عنه؟ ولماذا أنا هنا؟ لأتزوج
امرأتين وأنجب اطفالاً؟ أم لأخدم العلم أو إبليس؟
وفي حالة الذهول والشروء سمع الدكتور صوت
جبير قادما وهو يشدو بأحدى سمفونياته التي
يشتهر بها. ما هذا النشاز يا جبير؟
- هذه سيمفونية أول خطوة في نجاحنا, لقد تدربت
كثيرا حتى أتقنتها.

- أنت تغني بصوتك البهيمي المنكر. وصوت
اللاما يطربني اكثر من صوتك. أنا هنا يا جبير
أعاني من مرارة الوجود والبحث عن الذات.
- هون عليك يا دكتور, سيتم زرع البويضة
المخصبة في رحم قطرة الوادي. ولا تقلق أبداً,
فكلما وصلنا إلى عقدة سنحلها كما فعلنا
بسابقتها. انظر الى الناحية المشرقة كيف بدأنا
وأين وصلنا؟ دع عنك الآن هذه الوسواس التي
لن تفيدك شيئا سوى جرك إلى الوراء. لا تخف
أبداً, ازرع بذرة الشجاعة في قلبك. يجب أن
نزرع البويضة بحذر شديد, ولا مجال للخطأ
البيتة. جميع العوامل الضرورية للنجاح متوفرة
مئة بالمئة, وقد اتخذت جميع الاحتياطات
وأحضرت معي جميع الأجهزة التي نحتاجها,
لا أرى داعيا للقلق مطلقا, نحن فريق واحد
والنجاح لنا جميعا.
- يساورني شعور غريب لا أعرف كنهه, شعور
بالخوف أريد أن اصرخ , أريد أن يجلجل
صدى صرختي في أرجاء الغاية كلها, وترتد
إلى أذني أقوى من صرختي. أريدها أن ترتد
كصيحات حرب, مختلطة بصهيل الخيول

وصليل السيوف, لا بل أريدها أقوى من ذلك,
أريدها أن ترتد كأزيز الرصاص, ودوي
المدافع, لترفعني عاليا, وأرتطم أرضا, لتتداخل
عظام قفصي الصدري, وأحسن كيف يكون
الشهيق والزفير عندما يزرع شيء ما في
جسدك, لتعيش معه تسعة أشهر؟ نفسي تتوق
لأن أشم مسحوق ذرورات الأبينا.

- هدىء من روعك يا دكتور, لا يفصلنا عن
ولوج بوابة المجد إلا تسعة أشهر! وهذه فترة
قصيرة في مقياس الزمن العلمي, لقد قطعنا
شوطا طويلا ونحن على العتبة الأولى من
أعتاب الشهرة. غدا سيشار لك بالبنان عندما
تجوب مدن العالم لتحديثهم عن إنجازاتك,
سترى صورك ملصقة في كل مكان, ويتهاقت
هواة جمع الطوابع على شراء الطوابع التي
تحمل صورتك واسمك وإنجازاتك, كثير من
العلماء يحلمون بهذه الفرصة وهي الآن أمامك
على طبق, من ذهب وتذكر ما كنت تردد:
" ولكن تؤخذ الدنيا غلابا". ستسمع صدى نجاحك
يرتد إلى مسامعك كسمفونية خالدة تدغدغ شغاف
قلبك, وتشبع غرورك, وتغذي طموحاتك, وتروي
روحك.

- الحقيقة أنني املك زوجتين رائعتين, وأشعر
بالخيانة تجاه قطرة الوادي بأن تكون حاضنة
لبويضة مخصبة أنتجتها وإياك, ووضعنا
الكروموسومات معا. ستكون أم المولود القادم.
هذه الحقيقة التي لا يمكن تجاهلها أبداً, وأنا لا
أستطيع أن أحدد مشاعري نحو المولود

المنتظر, هل هي مشاعر أب, لا يملك سوى الاسم؟ أو هي مشاعر عالم لا يهمله الا النتيجة المجردة؟

- لقد أحضرت معي مولداً كهربائياً صغيراً بقدرة خمسين فولتاً لتنشيط البويضة وإخراجها من طور الكمون تمهيداً لزرعها. الاضاءة في الليل غير كافية, وسنقوم بعملية الزرع عصر يوم الخامس من بعد هذا اليوم.
- يبدو أنه لا مفر من ذلك, تأكد من تعقيم جميع المعدات يا جبير, ولكن لماذا بعد خمسة أيام؟
- يجب تجويع البويضة لمدة خمسة أيام قبل تسليط التيار الكهربائي عليها, يبدو أنك نسيت هذا الأمر الذي هو من الأساسيات, لا ألومك يا رؤوف, لقد تأكدت من تعقيم كل الأدوات وسأقوم مرة أخرى بالتأكد, ولا تنس مراقبة قطرة الوادي لمدة اثنتين وسبعين ساعة, وبعدها تكون قد تخطت مرحلة الخطر.

وفي ساعة الصفر, تم نقل البويضة إلى أنبوب الاختبار, وتم تسليط تيار كهربائي متقطع لا يزيد على واحد من عشرة آلاف من الثانية لعدة مرات, حتى بدأ انقسام الخلايا, وبعناية فائقة قام قووقل بنشل الخلية النشطة لزرع العلقة في رحم قطرة بعد أن تناولت قليلاً من مسحوق ذرورات الابينا, واستسلمت لنوم عميق استمر إلى ظهر اليوم التالي.

لم يغمض لرؤوف جفن, وكان عصياً عليه سلطان النوم. فتحت قطرة عينيها وقالت إنها ترى الشخص

اثنتين, فقدمت لها نسمة كوبا من حليب الفرس ليعينها
على استرداد قواها وري ظمئها. جلست نسمة بجانب
رؤوف وزحفت قطرة نحو قدميه وأسدت شعرها
الطويل عليهما. نهضت نسمة وأخذت بيدي قطرة
وأجلستها في مكانها, وقالت أنها تشعر بغثيان, وبدأت
بالقيء. آه إنها أعراض الحمل يا نسمة, وأجلس رؤوف
زوجتيه واحدة على يمينه والأخرى على شماله,
ووضع يديه على رأسيهما, وأخذ يلاعب شعرهن
الناعم, ويداعب خصلاته المتمردة, وعيناه محدقتان في
السماء.

- إنني أشعر بالغثيان, عندي زوجتان وكلاهما حامل,
وبعد تسعة أشهر أصبح أبا لطفلين, طفل أنا والده,
والآخر تزوجت أمه لتكون حاضنة, ولكن الكل يشهد
بأنها زوجتي, ليس عندي خيار الآن لأن أترجع خطوة
واحدة إلى الوراء, الندم لا يجدي, وجلد الذات لا يفيد,
يجب أن أتصرف كرجل يتحمل المسؤولية كاملة غير
منقوصة, رجل موقف اولم يقولوا بأن الرجولة مواقف
وبها يقاس الرجال من اشباه الرجال, نعم الرجولة
مواقف وليست فحولة, يجب أن أكون زوجا رجلا. غدا
سوف أذهب إلى ماشوبيشو وأحضر لزوجتي كل ما
تحتاجه الحامل. وأريد أن اشتري لوازم الرسم حتى
أمارس هوايتي لأبعد عني شبح الملل. إنني أسمع
صغيراً إنه جبير قادم.

- نعم أنا هنا لقد أعددت لك لحناً رائعاً راقصاً
سأسمعك إياه.

- أنا لست في مزاج يا جبير حتى أسمع لحنك,
جميع الألحان التي كنت تسمعي إياها لا
تتعدى نعيق البوم, وأنت تسميها سمفونيات.

- ولكن يا دكتور, اليوم هنا من الطيور التي تجلب الحظ, وليس كما في الشرق عندهم يجلب الخراب, لقد قلتها أنت, إن صوتي يشبه نعيق البوم, هذا مجلبة للحظ لك يجب أن تفرح.
- منذ معرفتي بك يا جبير والامور تسير كما تخطط أنت رغم اعتراضى وتحفظى على الكثير منها.
- نحن شركاء يا دكتور, وكل الأمور سارت بيننا بالرضا, وجئت اليك لأسمعك لحنى لأننى سأراك بعد تسعة أشهر عندما تلد قطرة الوادى.
- لا أريد أن أسمع أى لحن صادر منك, ولا تنس بأن نسمة ستلد بعد تسعة اشهر أيضا, هؤلاء أطفالى, وأنا فى لهفة لأراهم عند ولادتهم.
- أنت مخطيء يا دكتور, أنا شريك معك فى واحد, ولا أريد أن ادخل الآن فى جدال معك, إلى اللقاء بعد تسعة اشهر.

نصب رؤوف مرسمه أمام حقول الذرة,
وأينما دارت عيناه وجد حقولاً من الذرة
تعكس اشعة الشمس كأنها صفيحة من
ذهب.

لقد كان الفنان فان كوخ مثلي ينصب مرسمه أمام
حقول عباد الشمس ويرسمها مرارا ومرارا, وربما
مَرَق الكثير من الرسومات قبل أن يستقر على
واحدة , أنا هاو, ولست محترفا مثله, أجد متعة في
رسم حقول الذرة, لماذا لم يرسمها الفنانون
الحقيقيون؟ إن عرائيس الذرة متجهه إلى الأعلى
تحقق في السماء, وحبائتها مرصوفة في تناسق
عظيم مكسوة بالحلة الخضراء وتتدلى منها خيوط
الحرير. إنها أجمل بكثير من عباد الشمس. إن
زوجتي قادمتان, وكل منهما تحمل مجموعة من
عرائيس الذرة, أه ولماذا لا أرسمهما؟ إنهما
جميلتان, هيا الى هنا يا نسمة ويا قطرة الوادي.
اقتربتا والفرحة تغمر وجهيهما, سأقوم برسمك أنت
في البداية يا نسمة, لأنني تزوجتك أولاً. وأجابت
نسمة بأنها مستعدة, وقفت أمامي وهي تحتضن
عرائيس الذرة, بدأت أرسم الخطوط العريضة,
واخترت الالوان المبهجة وقمت بمزج الألوان
لتبدو أكثر بهجة, وبدأت الفرشاة تتحرك لتطبع
الألوان الزاهية البراقة على قطعة القماش لتتحول
تدرجيا إلى لوحة فنية رائعة, وبدأت الشمس تميل
إلى المغيب. التفت الدكتور إلى قطرة الوادي وقال

لها بأنه متعب الآن هيا نعود إلى الخيمة, وغدا
أرسمك.

وفي اليوم التالي وقفت قطرة الوادي بلباسها
الزاهي المزركش محتضنة كمية من عرائيس
الذرة, بدأ رؤوف يمرر الفرشاة على قماش
المرسم, إلا أن الألوان كانت تخرج قاتمة ليست
مبهجة كما رسم نسمة بالأمس. حاول مزج الألوان
ولكن دون جدوى.

- لماذا أعجز اليوم عن رسم لوحة, وبالأمس كنت
ماهرا بذلك؟ لم لا تطاوعني يدي على الرسم؟ ولم
لا أستطيع مزج الألوان لتخرج زاهية؟ أريد أن
أرسم أي شيء حتى وان كان لا يعني شيئاً, مثل
الفنانين الكبار! لقد أفسد الفنانون الذوق الفني بما
يسمونه الفن التشكيلي, وجعلوا من ابو كاسا فنانا
عظيماً وهو من دق الاسفين الاول في تشويه الذوق
الفني. وأسسوا مذهب الفن السريالي, وجعلوه فناً
راقياً مع أنه يثير الاشمزاز والقرف. كلما رأيت
لوحة تنضوي تحت هذا المذهب, وددت لو أنتزع
أمعائي من أحشائي لأطوق بها عنقي حتى أتقياً
على لوحاتهم التي يسمونها فناً. ولكن لم هذا
المذهب السريالي حاضر عندي بقوة؟ يلفني اليوم
وليس أمامي إلا قطرة الوادي وحقول الذرة من
خلفها؟ ولم الألوان تظهر قاتمة؟ هل سأرسم
قطرة الوادي أم الجنين لأشكل لوحة سريالية؟
الطحال مكان الكبد والقلب مكان الرئة, وعين
يقابلها اذن , وناب يقابله مخلب وتبا لي ماذا
لو خرج هذا الجنين, إلى الدنيا هكذا مسخاً؟ وجبير
حاز على عدد لا بأس به من الكروموسومات, ماذا

فعل بها؟ لقد قال أنه سعيد جدا لحصوله على
كروموسوم رقم (15) وهذا كل مبتغاه. لقد
أخبرني بأنهم يجرون تجاربهم على بني البشر،
يسيرونهم كيفما يشاؤون وهم أحياء، يسخرونهم
لمصالحهم. أخبرني أن البروتين ب 53 من صنعه،
وانه هو الذي دسه في خريطة الجينومات البشرية.
كما أخبرني أنه يستمتع عندما يحفز وينشط هذا
البروتين ليغزو الخلايا السليمة، وحاولت أن أفنعه
بأن هذا البروتين ب 53 يخمد ويكبت نمو الأورام.
ضحك ضحكة كبيرة وأتبعها بصفير طويل طويل
يقول: إن هناك فيروساً في جسم الإنسان أستطيع
أن أنبئه وأعطّل عمل بروتين ب53. قال إن هذا
من مبادئ علم الأدوية الرقمي، وأنتم لا تعرفون
شيئاً عن هذا العلم، ما زلتُم تحبون على شاطئ
علم الأدوية الزمني. أنا لم افعل شيئاً في
الكروموسومات التي بحوزتي أو التي ربحتها! لقد
قامرت باللعب مع جبير، وفي المقامرة دائماً
الخسارة، لا يوجد رابح أبداً.
ربما هو شعوري الباطني يترجم على مرسمي ولا
أستطيع أن أبوح به. لماذا يطاردني الإحساس
باني املك زوجة ونصف زوجة؟ وكلما حاولت
الهروب من هذا الإحساس طاردني أكثر وأكثر
وأصبح مثل ظلي. أنا عندي زوجة ونصف
زوجة؟! من يصدق ذلك؟ هذه من الحكايات
السخيفة التي لم ترد حتى في الأساطير. ولكن في
الحقيقة أملك زوجة ونصف زوجة. وهل أصبح أبا
كاملاً؟ أم سأكون أبا ونصف أب؟ إن رسمي مثل
سيمفونيات جبير.

رکل الدکتور رؤوف المرسم وکل محتویاته بقدمه
لتجرفها میاه النهر إلى البعید.

بدأت أعراض الوحام تظهر على قطرة الوادي،
وطلبت من رؤوف لحم سنجاب مشوي، وبدأ يفكر كيف
يؤمن لها السنجاب، والمنطقة تخلو تماماً من السنجاب.
- يا الهي ماذا أفعل؟ وتكرر طلبها في اليوم الثاني
والثالث، وانتقلت أعراض الوحام إلى نسمة التي طلبت
ذرة مشوية. إن الذرة المشوية متوفرة ولكن من أين
أحضر السنجاب؟

انطلق رؤوف إلى الغابة بحثاً عن السنجاب وهو يعلل
نفسه بإيجاد واحد على الأقل، سنجاب واحد يكفي لا
أكثر من ذلك لفك الوحام. إنهن في الشهر الثالث،
وأمامي ستة أشهر أخرى يجب أن ألبس طلباتهن. لست
بحاجة إلى سهام لاصطاد السنجاب، ولا أريد صنع
شباك لصيده، ولا أريد أن أقتلع أنيابه لأصنع منها قلادة
أزين بها عنقي لأباهي بها أفراد القبيلة، وما هذه
المباهاة أصلاً؟ أنا لا أريد أن أصطاد نمرأ أو أسداً، كل
ما أريد أن أصطاده هو سنجاب أليف.

ولج إلى الغابة وبدأ ينظر حوله ليرى إن كان هناك
صيد ثمين، فبالنسبة إليه السنجاب صيد ثمين يلبي وحام
زوجته. بدأ رؤوف يحدث نفسه:

- إنني أخشى أن يظهر على الجنين رسم سنجاب عندما
يأتي إلى الدنيا.

بدأ يشق طريقه إلى الغابة وليس عنده رغبة بالابتعاد
عن طرفها خوفاً من الضياع ومن الوحوش المفترسة،
وسمع حركة بجانبه، أو هكذا تراءى له، ولكنه لم ير
شيئاً، ولم يسمع إلا حفيف أوراق الغابة تتهامس بعضها
مع بعض.

- ولم لا تعيش السناجب على أطراف الغابة؟ سأغوص في العمق علني أجد ضالتي.

وبدأ الدكتور يبحث عن فريسته, لا يرى شيئاً, ويسمع فقط حفيف أوراق الأشجار. توقف في مكانه ونظر الى الأعلى ليرى صقرا يحوم فوق المكان, ودارت عيناه حوله, فرأى عشا, فاقترب منه فاذا به ثلاثة فراخ.

- هذا صيد ثمين, هذه فراخ الصقر سأخذ واحدا وأربيه, فقد كان جدي صقاراً ماهراً وطالما كلمني عن صيد الصقور, وكيف كان يخرج إلى البادية وصقره معه ليصطاد الحباري. أخبرني أن الصقر يحتاج إلى ثلاثة أسابيع من التدريب وأنا الآن لا أعمل شيئاً سوى انتظار المواليدي. سأخذ هذا الفرخ وأصقره كما يحلو لي, سأطلق عليه اسم مسعد.

عاد رؤوف إلى خيمته وربط فرخه بحبل طويل, وبدأ يطعمه ليألف إليه, وبدأ الريش يكسو جسمه, ويكبر حجم مسعد. ربما هو الآن جاهز للتمرين, بدأ تلقيمه أفراخ الدجاج عن قرب, ثم عن بعد, دون أن يفك الحبل, ومع مرور الأيام أطل الحبل شيئاً فشيئاً, أخذ مسعد يطير إلى الأعلى ثم ينقض على فريسته, بدأت الألفة بين رؤوف ومسعد تنمو وتشتد. وعندما وثق من قدرته على الصيد اصطحبه إلى الغابة, وفك الحبل من قدمه وطار الصقر عالياً وأنقض على حمامة في حقول الذرة ليحضرها إليه. أنا لا أريد حماماً يا مسعد, أريد سنجاباً! وأطلقه مرة أخرى وأخرى, ولكن الصقر لا يذهب إلى الغابة.

- ربما كان مسعد محقا بعدم ذهابه إلى الغابة, فالصقور تحب الأرض المكشوفة لا المستورة.

شعرت نسمة بالمخاض، فأسرع الدكتور ينادي قابلة القبيلة التي لها شرف الاشراف على ولادة كل أبنائها، جاءت القابلة مسرعة ومعها امرأتان لمساعدتها في التحضير للولادة. بدأت نسمة الصراخ من شدة الألم، وزوجها يسمع صراخها، وخالجه شعور بالحزن والفرح، حزن من الأم المخاض التي يسمعها وفرح لمولود جديد. اعطت القابلة أوامرها بإشعال النار ووضع قدر من الماء عليه، وتجهيز لباس المولود، بدا صراخ نسمة يعلو، والقابلة تحثها على أخذ نفس عميق وارخاء عضلاتها من أجل سهولة الولادة. وشيئاً فشيئاً بدأ الصراخ يخبو لتخرج القابلة وتبشره بمولود ذكر، وبدأت زغاريد النسوة تتطلق ايذاناً بازدياد أفراد القبيلة واحداً. والجميع ينظر إلى قطرة الوادي. فرح الدكتور بمولوده فرحاً غامراً وأخذه من القابلة وضمه إلى صدره وبدأ يكلمه:

- ماذا أسميك يا بني؟ هل أسميك من أسمائنا؟ أو أذهب بك إلى الرعد الهادر ليقوم بتسميتك ويختار لك اسماً شبيهاً بأسمائهم كالبرق الخاطف والإعصار الجارف والنسر اللامع و.....لا....لا سوف أسميك أنا نفسي، أريد أن أسميك نورس، فأنا أحب طيور النورس المهاجرة، وأنت مهاجر مثلها، لا أعتقد أن الزعيم يرفض هذا الأسم. هذا الأسبوع أو ربما الأسبوع القادم، ستلد قطرة الوادي أخاك. لماذا أشعر بانقباض في نفسي عندما أذكر دنو وقت ولادتها؟ كنت دائماً أشعر بأن لي زوجة

ونصفا، لم أكن زوجاً عادلاً، هل سأكون أباً عادلاً؟ هل سأحب ابن قطرة الوادي كما أحب نورس؟ ولماذا اسميه ابن قطرة الوادي؟ ولماذا أتحاشى أن أقول انه ابني؟

بعد اسبوعين من ولادة نورس، بدأت أعراض المخاض تدهم قطرة الوادي، واجتمعت القابلة والنسوة في الخيمة، وخرج رؤوف حاملاً نورس إلى خارج خيمته، وسمع صراخ قطرة الوادي يعلو ويعلو كأنه قرع طبول تعلن عن بدء معركة للحرب، لا يكاد يسمع شيئاً الا صراخها، لقد سمع من قبل صراخ نسمة ولم يكن بهذه الحدة والألم، وفجأة توقف الصراخ من داخل الخيمة وأسرع رؤوف، وعند باب الخيمة التفت عيناه بعيني قطرة الوادي وهي شاخصة نحوه والجميع واجمون وفي ذهول. التفتت اليه القابلة وقالت له: لقد توفيت أثناء الولادة، لم استطع انقاذها وأنقذنا المولود. وسمع صفير جبير قادماً.

- لقد جنّت إليك يا دكتور لأبارك لك ولادة نورس، وحضور ولادة قطرة الوادي. اقترب جبير من رؤوف وأخبره إن سبب الوفاة ناتج عن تعرضها لما يسمى " اكلامسيا". دنا رؤوف من القابلة ليأخذ المولود منها فابتعدت قليلاً وقالت دعه معي.
- أنا في شوق لأراه.
- لا أريد أن تراه الآن، ستراه فيما بعد.
- ولماذا ليس الآن؟
- إن وزنه لا يتجاوز كيلو غرامين، وهذا نصف وزن نورس عند الولادة.
- لا يهم أريد أن أراه قليلاً وأعيده إليك.

- وأنا في شوق لرؤيته معك يا دكتور, قال جبير في فرحة كبيرة.
- اختطف رؤوف المولود من بين يدي القابلة ونظر إليه, وبدأ مقطب الجبين متجهم الوجه. وسأله جبير ما بك؟
- انظر إليه, إن ملامح وجهه تشبه ملامح وجه السنجاب, وطوله لا يتعدى عشرين سنتيمترا.
- نظر جبير إلى المولود وقال بفرحة غامرة: لقد نجحنا يا دكتور, إننا الآن نرى ابننا بين يدينا.
- ماذا تقصد يا جبير بقولك ابننا؟ قال رؤوف بانفعال وغضب.
- لا تتفعل ولا تغضب, إنها حقيقة, لقد اشتركت معك في رسم الخطة, وتقاسمنا الكروموسومات, إن مساهمتي في جلب هذا الوليد إلى الدنيا هي مساهمتك نفسها إن لم تكن أكثر.
- ماذا ساهمت أكثر مني؟ لقد كانت قطرة الوادي زوجتي وهذا ابنها؟
- لم تكن زوجتك في حقيقة الأمر, لم تكن سوى حاضنة, لقد زرعنا سويا العلقة قبل تسعة أشهر. وأنا أعلم أنك لم تعاشرها كزوجة أبداً, ولم تحبها كما أحببت نسمة. هل نسيت عندما عصفت بك الأفكار عندما شرعت برسمها؟ وهل تذكر عندما كانت في الوحام, كيف أحضرت لنسمة بيدراً من الذرة, وللمسكينة لم تستطع أن تحضر لها سنجاباً! وقمت بتربية فرخ الكدجر على أنه صقر لتصطاد به سنجاباً ولم تفلح بذلك. والآن أخبرني يا دكتور رؤوف ماذا يعني لك هذا المولود أكثر مما يعني لي؟!

- لا أستطيع أن أنكر ما قلته, ولكن تبقى زوجتي قطرة الوادي أمه وكل أفراد القبيلة تشهد على ذلك.
- لم تكن قطرة الوادي أمه, لقد أخذنا خلية من رحم فتاة, وزرعنا نواتها في بويضة لامرأة أخرى بعد أن نزعنا نواتها, ونقلنا البويضة إلى رحم قطرة الوادي. هناك ثلاث نسوة اشتركن في إنتاجه, فمن هي أمه؟ نحن أبواه يا دكتور رؤوف.
- ما هذا الهراء يا جبير؟ متى كان لمخلوق أبوان؟
- هذه الحقيقة, نحن الاثنان اشتركننا في إنتاجه, اثبت لي العكس إن كنت تستطيع.
- كيف يمكن لمخلوق أن يكبر وله أبوان؟
- وكيف يعيش وله ثلاث أمهات؟
- إنه أخو نورس يا جبير.
- أنا أعترف يا رؤوف بأن نورس ابنك وأمه نسمة وله أعمام وأخوال, ولكن ليس الحال مع ابن قطرة الوادي, أنا ذاهب لأقيم احتفالاً بهذه المناسبة, وسأعود إليك فيما بعد, ولن اتنازل عن حقي أبداً.
- عاد رؤوف إلى خيمته, وكلام جبير يتردد في رأسه كالجرس. وجد نسمة ترضع نورس, وماذا يفعل بهذا المخلوق لإرضاعه؟ طلب منها أن ترضعه فرفضت لأن حليبها لا يكفي لاشباع نورس, ناهيك عن عدم قدرتها النظر اليه. وألح عليها أن تحاول, فأشاحت بوجهها مرة أخرى, اقترب به من ثدي نسمة, فقالت إنها تشعر بجفاف ثديها. قالت القابلة ان فرساً ولدت مهرأ قبل يومين وستحضر حليباً منها لإرضاعه, وكثير من

الاطفال يشربون حليب الخيل, اذهب به الآن إلى الزعيم
ليباركه ويمنحه اسماً.

حمل رؤوف المولود, وذهب إلى الزعيم, نظر الزعيم
إليه, وعاود النظر إليه مرة ومرة ومرة, ثم رفع عينيه
إلى السماء, والتفت إلى رؤوف قائلاً: لماذا لم تحضر
ابنك من نسمة كي أباركه وامنحه اسماً؟

- انه نائم الآن أيها الزعيم, وقد أسميته نورس
اغفر لي هذه الهفوة, وهذا ابن قطرة الوادي
وقد توفيت أمه كما تعلم.

- تريد أن امنحه اسماً وأن أباركه؟

- هذا ما أريده منك أيها الزعيم المبجل.

- ولكنه كما ترى ليس مثل أطفالنا عندما يولدون,

انظر إلى طول قامته كم هي قصيرة, وعندما
يكبر لن يتجاوز طوله نصف متر, ووزنه لن
يقل عن تسعين كيلوغراماً, لا أرى فيه ملامح
الذكاء, البلادة هي السمة الغالبة عليه, ربما
تستطيع أنت نفسك أن تقارن بينه وبين

نورس. كيف سنعلمه ركوب الخيل والصيد,

وكيف يصبح رجلاً مكتمل الرجولة؟ ليس

واضحاً لي إن كان ذكراً أو انثى! اني لا أراه

كذلك, لا أستطيع منحه بركاتي, ولكن أستطيع

أن أعطيه اسماً.

- كما تشاء أيها الزعيم.

- قررت أن أطلق عليه اسم " السمندل".

- ولماذا هذا الاسم "السمندل"؟

- لأن هذا ما اراه فيه ويستحق هذا الاسم, خذه

وعد إلى خيمتك ولا تكلمني بشأنه أبداً.

بدأت كلمات جبير ترنَ في أذني رؤوف ليل نهار. من هي أم السمندل؟ ومن هو أبوه؟ وكلمات الزعيم لا تفارق تفكيره أبداً.

- سيكون طوله فقط نصف متر ووزنه تسعين كيلغراما, وليس هو بالذكر أو الانثى!!! ما هذا الذي فعلته؟ أنا استحق أن أجدل أمام كل أفراد القبيلة, لا بل أمام العالم كله. ما هذا الذي ساهمت في إنتاجه؟ كيف سخرنى إبليس لهذا الأمر؟ وكيف أقنعني جبير بأن نلعب بالكر وموسومات؟ أين الأوسمة والنياشين التي كنت أمني نفسي بأن أعلقها على صدري وأباهي بها كل الدنيا؟ أنا لا أستحق إلا جلدًا بالسياط أمام العلم كله, و مية مثل مية شاعر العرب الحطيئة.

وبينما هو في غمرة تخبطه وحيرته, سمع القابلة تركض نحوه وتولول وتصرخ بصوت عال, فنهض مسرعا نحوها وسألها: ما بك تصرخين هكذا؟

- السمندل اختفى.
- ماذا تقولين يا امرأة؟
- لقد وضعته في فراشه وذهبت لأحضر له الحليب, وعند عودتي لم أجد له أثرا, بحثت عنه في كل مكان ولم يره أحد, لقد اختفى.
- هكذا اختفى فجأة؟ وهل سألت نسمة؟
- بلى قالت انها سمعت صغيرا وأحانا وز غاريد قرب الخيمة كأنها اصوات عرس.
- قد فعلها جبير.
- ومن هو جبير هذا؟

- لا شيء, لم أقل شيئاً, سأذهب إلى الزعيم
ليساعدني في العثور عليه.
أيها الزعيم المبجل, أيها الرعد الهادر, لقد اختفى
السمندل, لقد اختفى لأنك منحته اسماً ولم تمنحه
بركاتك, ساعدني في العثور عليه. أرجوك أن تسأل
الآلهة أين هو؟
احمرت عينا الزعيم, وبدأ صوته يرتجف, وانتفخت
أوداجه, وملاه الغضب من رأسه إلى أخمص قدميه,
وقال: إن الآلهة تقول إذا كان السمندل ابن حلال
سيعود, وأضاف وهو يهز رأسه بغضب ويتوجه
صوب الشمس ولكنه لن يعود.